الفصل الثاني
في معجمية الحضارة (التطبيقات)

أولا
معاجم ألفاظ الحضارة في العربية المعاصرة
مناهجها، ووظائفها، وقيمتها

(مدخل)

يوشك لفظ الحضارة أن يكون وصفًا جامعًا للمنجز الإنسانى على الأرض، وهو لفظ يختزن دلالات الترقى والتقدم والإعجازواغتيال التوحش ويعني التربية وما يدور في فلكها من معاني التهذيب.

ومن ثم فإن ادعاء أن العربية تملك رصيدًا وافرًا من ألفاظ الحضارة يلزمه مقدمة صادقة أن العربيةشاهدة على حضارة عريقة أنتجها أصحابها على امتداد التاريخ، ولا شك أن الإسلام العظيم كان المفجِّر الأول لصناعة هذه الحضارة في ميادين الحياة المختلفة والمتنوعة بما أنتجه الصانع العربي المسلم، وأنجزته معارف هذا العربي المسلم.

صحيح أن العرب منذ أن دانوا لله تعالى بالإسلام، وتابعوا رسول الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم قدّموا للإنسانية نتاجًا وافرًا من المستحدثات والأدوات، والآلات، والإبداعات، والفنون، وهو ما نجد أسماءه وافره مبثوثة في المعجمات التي صنعها المعجميون العرب على امتداد هذا التاريخ المعجمى العريق، ولاسيما ما كان من هذه الألفاظ في ما يعرف بمعجمات الموضوعات والمعانى.

ولكن العناية المعاصرة بألفاظ الحضارة في الثقافة العربية، سواء كانت بجهد فردى أو جماعى – كانت لإثبات قدرة اللغة العربية على استيعاب منجز العصر، ومستحدثاته،

ومخترعات الأمم المتقدمة، مما يقطع الطريق على كل الذين يحاربون التمكين للعربيةوهو ما نلمسهواضحا في تقديم بدر الدين أبى غازى مقرر لجنتى ألفاظ الحضارة، والفنون بين يدى (معجم ألفاظ الحضارة والفنون، طبعة الممجع اللغوى، بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص:هـ) عندما قرر أن للغة قدرة ظاهرة على استيعاب مستحدثات العصر، وهو ما يبرهن على إمكان تطويع اللغة لمواجهة كل مستحدثات الحضارة الحديثة"

وهي غاية نبيلة تسهم في مقارنة بقايا الفكر الاستعمارى الذي طالما دأب على تأخير رتبة اللسان القومى بين أبناء الوطن في خطر مناطق استعمالها في أروقة العلم، وأجهزة إدارة الدولة.

وهذا المقال يفتح هذا الملف ليعين على فهم واحد من أصول هويتنا في مرحلة دقيقة من عمر الدولة المصرية، وحياتها، وهي تستقبل مرحلة جديدة وخطيرة تستلزم التنبه إلى لسانها القومى، وأهمية العناية به، وتذليل العقبات في سبيل سيادته في العلم والإعلام والثقافة والحياة جميعًا.

(١) العربية وألفاظ الحضارة: تاريخ عريق وتراث ممتد.

إن فحص تراث العربية في مجال الدرس اللغوى تنظيرًا وتطبيقًا يجد تنبها مبكرًا إلى أثر الإسلام العظيم في ترقى اللسان العربي في مجال الثروة اللفظية بما فتح هذا الدين العظيم من ميادين الحضارة علمًا وصناعة وفنا لدرجة أن بعضًا من أصحاب المعاجم العربية تنبهوا إلى هذا التأثير الإيجابى، يقول الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) (٢/ ٥٢٤ – ٥٢٥ طبعة مكتبة الخانجى، بالقاهرة بتحقيق الدكتور خالد فهمى سنة ١٩٩٨م) : "فصل... في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها"، وعدد منها ألفاظ: " الزكاة" و"الحج" و"المحراب" و"المنارة" وغيرها.

وهي كما نرى موزعة على مفاهيم جديدة أحدثها الإسلام في جملة ما أوجده من التشريعات، وموزعة على ما أنجزه الإنسان المسلم من حضارة بفعل ما فجره الإسلام في النفوس التي آمنت، وترجمته في صورة منجز حضارى؛ في العمارة وغيرها.

وهذا الارتباط بين ثورة الحضارة المدونة بالعربية وبين الإسلام أمر مستقر في النظر العلمى شرقًا وغربًا، وهو مازال مستمرًا إلى اليوم، يقول آدم جيسك في مقدمة كتابه (تقاليد المخطوط العربي، النسخة العربية، طبعة معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م (١/ ١٥): "الحضارة العربية الإسلامية حضارة كتاب، والكتاب فيها ذو قداسة خاصة، اكتسبها من الدين الإسلامى ذاته، وتحديدًا كتاب هذا الدين (القرآن الكريم) الذي لا ينافسه أي كتاب آخر لدى العرب والمسلمين.

"هذه المكانة العالية التي تشغلها الكتاب حفزت المجهود على إنتاجه مبكرًا حتى ليمكن القول إنه وهذه الحضارة قرينان بدآ معًا، فما كان القرن الهجرى الأول (السابع الميلادى) ينتصف حتى جرى القلم بالمعرفة، ورأينا صحائف وكتبا تتوالى".

على أن ما يهمنا التنبيه عليه أن هذا التراكمات المعرفية المدونة في صورة مادية، هي الكتب يعنى في أيسر صورها، وأوضحها،وأصرحها سرعة هذه اللغة، ونشاطها، وقدرتها الظاهرة على تلبية احتياجات الهجوم الحضارى الذي صنعه الدين العظيم من أسماء، ومفردات للتعبير عن هذه المنجزات الحضارية.

وإذا كان تاريخ المعجمية العربية العامة مووصفا بالازدهار والعراقة، بسبب من تقدّمها الزمنى، وبسبب من تنوع مناهجها – فإن الحكم نفسه صالح لكى يطلق على تاريخ المعجمية العربية المختصة.

وهو ما يعنى أن العربية استطاعت أن تلبى مسرعة حاجات الوضع الحضارى الذي أوجده وضع الأمة العربية الجديد في ظلال القرآن الكريم، ذلك أنه منذ القرن الرابع الهجرى بدأ تنامى ظهور معجمات لغوية مختصة اعتنت بجمع الألفاظ الحضارية الدالة على المستحدثات المعرفية والتطبيقية معًا.

وقد اتخذت هذه العناية بألفاظ الحضارة الصور الثلاثة التالية:

أ – فصول وأبواب كاملة في المعجمات الموضوعية.

ب – فصول وأبواب كاملة في المعجمات الاصطلاحية المتعددة العلوم (معاجم المصطلحيات).

جـ- معجمات كاملة أرادت لمعالجة طوائف من الألفاظ الحضارية، بحيث استقلت معجمات خاصة الألفاظ فن بعينه.

(٢) ملامح العناية بألفاظ الحضارة في تاريخ المعجمية العربية قديمًا.

وإذا كانت الحضارة في واحد من أشهر تعاريفها هي : كل مظاهر الرقى العلمى والفنى والأدبى، فإن الحضارة العربية الإسلامية التي ازدهرت وعبر اللسان العربي عن هذا الازدهار في نطاقها الزمنى القديم وجدت كما سبق أن قلنا معجمات رصدت ألفاظ هذه المظاهر الحضارية.

وفيما يلي محاولة لرصد بعض علامات هذه العناية بألفاظ الحضارة:

أولاً: في المعجمات الموضوعية:

عرف تاريخ المعجمية العربية نمطًا من المعجمات جمع الألفاظ وصنفها تحت موضوعات يجمع بينها رابط دلالى معين.

وقد كان هذا النمط أسبق من غيره من معجمات الألفاظ المرتبة صوتيًا أو ألفبائيًا أو وفق الأبنية في تاريخ التصنيف المعجمى عند العرب.

وفي معجم الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى المتوفى سنة ٢٢٤هـ أبواب كاملة تُظهر ما توصل إليه العرب، واستقر في نطاقهم الجغرافي الممتد من مظاهر الحضارة من مثل:

أ- كتاب اللباس، ويضم ستة عشر بابًا تحتوى أسماء الملابس وأنواعها، وطرق نسجها، ومعالجتها إلخ.

ب- كتاب الأطعمة، ويضم سبعة وعشرين بابًا تحتوى أسماء أنواع الطعام، وكيفيات طبخها، ومعالجتها إلخ. وربما أمكن أن نلحق به بابا أورد فيه المعجم أسماء الخمور والأشربة.

ج- كتاب الدور والأرضين، وفيه أسماء الأبنية والمراكب التي هي المواصلات بلغة العصر الحديث وغير ذلك.

د- كتاب السلاح بأنواعه المختلفة.

وهذه الكتب أو الأقسام بما تحتويه داخلها من ألفاظ كثيرة موزعة على أبواب أو فصول صغرى متكررة في كثير من معجمات الموضوعات التي تلت معجم الغريب المصنف من مثل: مبادىء اللغة، للخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩هـ والمخصص، لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨هـ.

وإذا كان هذا المعجم الموضوعى الأخير (المخصص) هو أوسع معجمات الموضوعات مادة بإطلاق، فإن فقه اللغة وسر العربية للثعالبى يعد أصرح المعجمات الموضوعية عناية بألفاظ الحضارة في العربية.

وفيما يلي بيان علامات ذلك:

جمع الثعالبى في أكثر من باب ما يشعر بوعيه بطبيعة ما بين حقول ألفاظ الحضارة ولا سيما المادية من تقارب، فقد جمع ألفاظ اللباس وما يتصل به، والسلاح وما ينضاف إليه، وسائر الأدوات وما يأخذ مأخذها في حيز واحد هو الباب الثالث والعشرون (٢/٤٠٨ – ٤٤٩ من طبعة مكتبة الخانجى سنة ١٩٩٨م بتحقيقى) ويلمس قارىء هذا الباب بفصوله المختلفة ما أنجزته الحضارة العربية من مظاهر الترقي في وسائل العيش المتنوعةٍ مما يتوزع على مجالات الملابس وما يدور في فلكها من أثاث وفرش وحلى وزينة، وعلى مجالات السلاح بأنواعه والأوعية وغيرها من أدوات.

ثم يفرد الثعالبى في الباب الرابع والعشرين للأطعمة والأشربة (٢/٤٥٠ – ٤٦٥).

وقراءة الثعالبى وفحصه تقدّم خدمة جليلة لتحليل الوضع الحضارى الذي وصلت إليه الأمة العربية بعد انفتاحها المنظم على العالم حولها بفضل فتوحات الإسلام، ذلك أنه يمكن مقارنة مظاهر التحضر مثلا في أبواب الأطعة والملابس والزينة والأدوات والأوانى والعطور وغير ذلك التي ابتكرها العرب وتلك التي نقلوها عن غيرهم من الأمم المجاورة، ووضعت لها العربية أسماء وألفاظا بما كان قبل مجيئ الإسلام العظيم.

ففي الفصل الرابع من الباب التاسع والعشرين (٢/٥٢٦ – ٥٣٠) يرصد الثعالبى الألفاظ الحضارية التي عرفها الفرس ونقلها العرب بعد أن وضعوا لها تسميات بلسانها.

وقد توزعت هذه الألفاظ الحضارية على القوائم التالية:

أ- ألفاظ الأوأي: (الكوز/ الإبريق/ والطست/ والخوان/ والطبق/ والسُّكرّجة).

ب- ألفاظ الملابس: (السّمور/ والسنجاب/ والقاقمُّ/ والديباج/ والسندس).

ج- ألفاظ الجواهر: (الياقوت/ والفَيروزج/ والبلور).

د- ألفاظ المخبوزات: (السميذ/ والدرمك/ والجردق/ والكعك).

ه- ألفاظ الطبيخ: (السكباح/ والدوغباج/ والنارناج).

و- ألفاظ الحلاوات: (الفالوذج/ والجوزينج/ واللوزينج).

ز- ألفاظ الأشربة و(العصائر): (الجلاب/ والسكنجين/ والجلنجين).

ح- ألفاظ الأفاويه (التوابل): (الفلفل/ والكرويا/ والزنجبيل).

ط- ألفاظ الرياحين والزهور: (النرجس/ والمرزنجوش/ والياسمين/ والمسك/ والعنبر/ والكافور/ والصندل).

وقد قصدت قصدًا إلى ما يمكن أن يعد تطِويلاً لأقرر أن العربية في تراثها المعجمى اعتنت بجمع ألفاظ مظاهر الحضارة في هذه العصور القديمة، وقد توقفت أمام مظاهر الحضارة التطبيقية المادية في تجليات ما يستعمله الإنسان على طريق تحقيق جودة الحياة في ميادينها المادية المختلفة، وهو ما ظهر في معجمات ألفاظ الحضارة الحديثة التي رأت أن مجاليها الكبرى، وانعكاساتها الظاهرة إنما تكمن في (الثياب وما يتعلق بها/ والمنزل والأدوات المنزلية/ والفنون التشكيلية والسينما) إلخ على ما فعله معجم ألفاظ الحضارة الحديثة للمجمع اللغوى بالقاهرة.

ثانيا: في معاجم المصطلحات

فيما مر ظهرت عناية أصحاب المعاجم الموضوعية بقطاع عريض من ألفاظ مظاهر الحضارة في تجلياتها التطبيقية والصناعية التي عرفها العرب، وجودوا بها مناطق حياتهم، واستوعبتها العربية، وعبرت عنها منذ ترقى العرب وتحضرهم قديمًا.

وفي الوقت نفسه أظهرت العربية قدرة فائقة في التعبير عن مظاهر الترقى الفنى والأدبى والعلمى، واستوعبت المفاهيم الجديدة، ووضعت لها ألفاظًا جديدة مستعملة طرقًا متنوعة.

وقد تجلت هذه القدرة اللغوية للعربية فيما حفظه لنا الزمان من قوائم مطوّلة لأفاظ مظاهر الترقى الحضارى في ميادين العلوم والآداب والفنون، وهو ما ظهر في قطاع عريض من الأعمال المعجمية التي كان شغلها الشاغل جمع هذه الألفاظ أو المصطلحات، وتعريفها.

وفي المعاجم التي جمعت مصطلحات العلوم والفنون والآداب تميزت طائفة منها بترتيب ألفاظ العلوم هذه مجاليًا، بمعنى أن عددًا من هذه المعجمات جمع كل مجموعة من ألفاظ مجال بعينه، أو علم بعينه في حيز خاص.

ومن أشهر هذه المعجمات التي صنعت هذا (مفاتيح العلوم، للخوارزمى الكاتب المتوفى سنة ١٨٧هـ)و(مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، المنسوب للسيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ).

وفحص منهجية مفاتيح العلوم دالة على وعى مبكر جدًا بدوائر المعرفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية، ذلك أنه قسم معجمه على قسمين هما:

أ – قسم جمع ألفاظ الشريعة والعلوم العربية، وقد ضم الفقه وعلم الكلام والنحو والعروض والشعر والأخبار أ، التاريخ.

ب – قسم جمع علوم العجم أو الحكمة أو العملية،وقد ضم الفلسفة والطب والمنطق والهندسة والموسيقاوالحيل أو الميكانيكا والكيمياء.

وفي القسم الثاني تعيينا دليل قاطع على قدرة العربية على استيعاب المجز الحضاري الوافد من الغرب بمظاهره المختلفة علميا وفنيا.

والأمر نفسه ظاهر في قائمة فصول معجم (مقاليد العلوم) التي جمعت قوائم الألفاظ موزعة على واحد وعشرين علما.

ثالثا – في معجمات مختصة مستقلة.

ومن جهة أخرى عرفت المعجمية العربية قطاعات كثيرة متنوعة استقل كل قطاع بجمع ألفاظ كل علم على حدة في شكل من أشكال تطوير العمل المعجمي دال على ازدهار المنجز الحضاري للأمة العربية المسلمة.

لقد عرفت المعجمبة العربية المختصة معجمات لألفاظ الآداب والفنون والعلوم المختلفةمما يغطي مساحات شاسعة لمظاهر الترقيالعربي الإسلامي.

وثمة دراسات كاملة وقفت أمام عدد من قطاعات هذا العمل المعجمي من مثل الدراسات التي قامت لدرس معاجم الطب والصيدلة ومعاجم ألفاظ الفقه وأصول الفقه والتصوف وغيرها.

والتوقف أمام هذه الملامح الثلاثة السابقة يوضح لنا أن العربية والتاريخ الممتد من مجيئ الإسلام إلي ما قبل العصر الحديث لم تعجز عن التعبير عما جدٌ من مستحدثات حضارية في المظاهر المتمدنة جميعا سواء في تلك التي ابتكرها العقل العربي المسلم أو تلك التي نقلتها الحضارة العربية من غيرها من الحضارات من خلال الترجمات المختلفة عن اللغات.

وقد عكست هذه الملامح الثلاثة السابقة أن الروح العربية طامحة إلي تجديد الحياة وتجويدها وتطوير سبل العيش وتنمية سلوك الحياة المادية في البيت والمجتمع وفي الطعام والشراب والملابس وفي الزينات وفي مواجهة المخاطر وفي مواجهة العدو وفي سبل المتعة والترفيه.

وهو وجه مهم يعكس طبيعة الفكرة الإسلامية المتوازنة التي تلبي مطالب الجسد جميعا وتلبي رغبات الروح أيضا.

وهو وجه مهم أيضا يعكس طبيعة هذه الفكرة الإسلامية المنفتحة علي الحياة الحريصة علي تجويدها وتحسينها وتيسيرها وهو الوجه الذي حاولت طوائف كثيرة في مراحل التراجع الحضاري أن تطمس ملامحه التي كشفت ملامح العناية بألفاظ الحضارة في المعجمية التراثية ووضاءتها وبريقها الذي كان ساطعا.

(٣) امتداد العناية بألفاظ الحضارة في العربية في العصر الحديث.

ارتبطت النهضة الحديثة في البلدان العربية بإعادة إحياء اللسان وهو ما بدا طبيعيا من كل حركات التحرر الوطني التي أدركت في المشرق والمغرب العربيين جميعا أن استعادة الذات العربية لوهجها الحضاري الذي كان انطمس بفضل عوامل كثيرة منها الاستعمار الغربي الذي كان من آلياته إضعاف اللغة الوطنية واغتيال قدراتها العلمية وتعيينها.

ومن عجب أن تري مناقشة وإسهاما لعدد من القضايا المتعلقة باللغة العربية في تراث رواد حركات التحرر الوطني في عموم الوطن العربي تري ذلك في الإنتاج الفكري للأفغاني ومحمد عبده ومحب الدين الخطيب وحسن البنا والعقاد وتراه في الإنتاج الفكري للبشير الإبراهيمي ولابن عاشور ولعبد الله كنون ولمالك بن بني ولغيرهم من أعلام المجاهدين المعاصرين.

وقد واكب ذلك وبرهن عليه تنامي العناية بخدمة ألفاظ الحضارة الحديثة وسوف تقف هذه الورقة أمام ملامح هذه العناية المعاصرة مركزة القول علي شريحة من ألفاظ الحضارة الحديثة في العربية وهي تلك المتعلقة بالمجالات التطبيقية أو العملية في ميادين العلم والفن.

وسوف تختار الورقة عددا من المعجمات المعاصرة التي تفرغت لجمع لألفاظ الحضارة الحديثة في اللسان العربي مراعية جهود الأفراد وجهد المؤسسات العلمية المعنية بخدمة ترقية اللغة العربية في الشرق والغرب العربيين جميعا.

وفيما يلي رصد لهذه المحاولات المختارة مرتبة زمنيا:

أولا: عمل المؤسسات اللغوية في المشرق العربي :

أ- معجم الفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ب- معجم الموسيقا لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م.

ج- معجم التربية الرياضية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م ٠

ثانيا : عمل المؤسسات اللغويه في المغرب العربي

أ- معجم الطحانة والخبازة والفرانة للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ومصلحة التعريب التابعة لمكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء.

ثالثا: عمل الأفراد :

ا- معجم الآلة والأداة وما تتبعها من الملابس والمرافق والهنات لمعروف الرصافي بغداد ١٩٨٠م٠

ب- المعجم العربي لأسماء الملابس للدكتور رجب عبد الجواد ابراهيم دار الافاق العربيه بالقاهره ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ٠

وهذه القائمة النوعية من معجمات ألفاظ الحضارة الحديثة في اللغة العربية، مجرد عينة أريد من وراء اختيارها الدلالة على تنوع العناية بهذه الطائفة من الألفاظ العربية الدائرة في حقول الحضارة الحديثة، والدلالة على استغراق هذه العناية لجغرافيا الوطن العربي شرقًا وغربًا، والدلالة على شمولها لجهاد الأفراد والمؤسسات معًا.

وتمثل هذه القائمة دليلاً عمليا جديدًا على نجاح اللغة العربية في اختبار قبول التحديث، وهو النجاح المسبوق بنجاحات قديمة موثقة تاريخيًا، مسبوق بنجاح مبهر آخر لهذه اللغة فيما نقلته وترجمته من علوم وفنون وآداب وافدة من اللغات الإغريقية والسريانية والفارسية في القرون الهجرية الأولى.

ومن المهم جدًا أن نقرر أن العمل في مجال خدمة ألفاظ الحضارة الحديثة معجميًا ولغويًا ينمو ويتطور مع الأيام، وهو ما يمكن التدليل عليه بعمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أصدر سنة ١٩٨٠م معجمه لأفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون جامعًا بين دفتيه مجموعة من الألفاظ الموزعة على الحقول الحضارية التالية : الثياب وما يتعلق بها، المأكولات، المنزل والأدوات المنزلية/، والأماكن وما يتعلق بها، والمكتب وأدواته، والمركبات وما يتعلق بها، والحرف والصناعات والمواد المستعملة فيها، والتربية الرياضية وألفاظ من التصوير والنحت، والرسم، والخزف إلخ.

وأحد أشكال هذا النمو والتطور المرصود كان في تحويل بعض قوائم ألفاظ بعض حقول الحضارة الحديثة السابقة إلى معجمات كاملة مستقلة؛ فمثلا يجد قارىء معجم ألفاظ الحضارة الحديثة عددًا من المداخل المتعلقة بالموسيقا، وهو الذي نما وتطور ليكون معجما كاملا للموسيقا يتضمن الألفاظ المتعلقة بالآلات الموسيقية المختلفة، والأشكال الموسيقية المتنوعة.

وإذا كان معجم بألفاظ الحضارة الحديثة صنع حقلا يضم ألفاظ التربية الرياضية جمع واحدًا وخمسين مدخلاً، فإن المجمع اللغوى نفسه طور هذا ليظهر معجمًا كاملاً مستقلاً لألفاظ التربية الرياضية الذي أصدرته لجنة ألفاظ الحضارة.

ففي هذين المثالين دليل ظاهر على وعى العربية المعاصرة ومتابعتها وتعاطيها مع التطور الذي يصيب الحياة في مجالات التحضر المتنوعة.

وهو ينعكس على تنامى ظهور الألفاظ العربية في هذه المجالات جميعًا.

(٤) منهجية ترتيب المداخل في معاجم.

ألفاظ الحضارة في العربية المعاصرة : (تنامى خطاب التعبير).

يكاد يسيطر على المعجمية المعاصرة الركون إلى استعمال منهجية ترتيب المداخل أو الألفاظ وفق النظام الألفبائى.

وهذه السيطرة مردُّها إلى ارتباط تطبيقات هذا المنهج بمنظور مستقر في صناعة المعجم هو رعاية المستعمل الذي يوافقه هذا الترتيب ليسره وسهولته. وهو اليسر الذي يعنى تحقيق أمرين معا هما:

توفير المجهود.

وتوفير الوقت.

والغالب على بناء معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة هو اتباع المنهج الألفبائى أي : ترتيب الكلمات حسب أوائلها ابتداء من الألف وانتهاء بالياء، وفق الترتيب المشرقى لهذه الحروف.

وهو المنهج الذي تراه في ترتيب مداخل معجم ألفاظالحضارة الحديثة ومعجم الطحانة والخبارة والفرانة، والمعجم العربي لألفاظ الملابس.

وإنعامًا في تطبيقات منهجية التيسير لجأت هذه المعجمات إلى ترتيب ألفاظها وفق منطوقها؛ أي من دون اللجوء إلى الترتيب وفق منهجية التجذير، أو مراعاة الجذور، وهو المنهج الذي يحقق ما يلي:

- التوسع في التيسير.

- والتخلص من المشكلات العلمية الناشيءة عن منهجية الترتيب وفق الرد إلى الجذر، من مثل: التخلص من أحرف الزيادة، والتضعيف، ومعرفة أصل الألف إن وجدت إلخ.

- والتخلص من المشكلات العلمية الناشيءة عن الألفاظ المعربة عن اللغات الأخرى؛ وعدم وجود آلية لاستخراج جذر لها.

غير أن عددًا من معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة لجأت إلى ترتيب ألفاظها وفق الألفبائية اللاتينية؛ أي أن المداخل وردت مرتبة وفق اللغة الإنجليزية مرتبة وفق النظام الألفبائى الإنجليزى، بلا مسّوغ علمى، ولا يُعتذر في هذا المجال بأن جمهرة ألفاظ الحضارة في حقلى الموسيقا والتربية الرياضية واردة من الحضارة الغربية، ومن لغات أجنبية؛ ذلك أن كثيرًا من الألفاظ الحضارية في هذين الحقلين ناشيء من المعجمية التراثية عن طريق إعادة إحياء مفردات قديمة حُمِّلت بدلالات معاصرة فنية أو حضارية.

وأصل رعاية منظور المستقبل، وهو المواطن العربي كان يقتضى ترتيب ألفاظ الحضارة في هذين المجالين، وفق الترتيب الألفبائى العربي.

(٥) معاجم ألفاظ الحضارة في العربية في العصر الحديث قيمتها ووظائفها.

إن ثمة فوائد كثيرة لظهور معجمات ألفاظ الحضارة، ولا سيما في هذه المرحلة التي يعيد العالم العربي اكتشاف نفسه من جديد، وهو الاكتشاف الذي سيلزمه ولاشك إعادة تقييم ممتلكاته، ومواهبه، ومعارفه جميعًا.

ولا تقف الفوائد عند حدود الإفادة العملية مما ضمته هذه المعجمات من ألفاظ، ومصطلحات موزعة على مجالات الحضارة المختلفة، وهي في حد ذاتها قيمة مقدرة، ولكنها تتجاوز لتغطى مساحات أخرى من الوظائف والغايات.

وفيما يلي محاولة لرصد عدد من أظهر الوظائف التي يمكن أن تفي بها هذه المعجمات المعاصرة لأفاظ الحضارة الحديثة.

أولاً: الوظائف اللسانية / أو اللغوية.

والمقصود بهذه الوظيفة الدلالة على قدرة العربية بما هي لغة عريقة – على استيعاب ما يجد من مستجدات الحضارة في ميادينها المختلفة.

وهو الأمر الذي نلح عليه في مواجهة حالة من التشكيك في قدرة اللسان العربي في ظل هجمة المعارف الحديثة من جانب، وفي ظل أصوات عالية تدعو إلى تعلم هذه المعارف باللغات الأجنبية، وهو الأمر الذي لا نجد له صدى في القوميات المختلفة؛ إذ تحرص كل قومية على توطين العلم والمعرفة الحديثة بلغاتها الوطنية.

ومجموع ما ورد في هذه المعجمات الخاصة بألفاظ الحضارة الحديثة، وقسم كبير منها بحكم الوضع الحضارى المتقدم للغرب وارد من هذه اللغات الغربية، استطاعت اللغة العربية أن تعبر عنه، وتخلق الصيغ العربية المناسبة للدلالة على هذه المفاهيم بطرق متنوعة تقريبًا، أو إعادة إحياء لألفاظ قديمة بعد تحميلها بدلالات جديدة.

لقد برهنت هذه المعجمات بما ضمته من ألفاظ الحضارة الحديثة الوافدة على قدراتها الوافرة صوتيًا وصرفيًا ودلاليًا على مواجهة تطور الحياة، وترقيها.

ثانياً: الوظيفة الدينية والحضارية.

وقد دلت قراءة هذه المعجمات بما احتوته من ألفاظ متنوعة، موزعة على مجالات الحضارة المختلفة على مسألة مهمة جدًا نحب أن نلح عليها، ألا وهي تصور الفكرة الإسلامية للحياة والكون، ذلك أن فحص مفردات هذه المعجمات أن الإسلام يرعى قيم الترقى والتمرس للحياة الإنسانية، ويتعاطف مع مظاهر التجويد والتحسين ترعى

صناعة الجودة للحياة الإنسانية في بعديها المادى بما يؤازره من تطبيقات صناعية، والروحى بما يؤازره من فنون وآداب وألعاب وترفيه وتهذيب إلخ.

إن انفتاح المعجم الحضارى، وحفاوته بمظاهر الترقى لجوانب الحياة المختلفة دال على شمول الفكرة الإسلامية التي تعبر عنها اللغة العربية، وتعطى جهازها الصوتى والصرفي على الفصائل مع هذه النظرة الشاملة المستوعبة المتوازنة للحياة الإنسانية.

كما أن هذه المعجمات أشارت من طرف آخر إلى أن التصور الإسلامى يرحب بالمنجز الحضارى المتنوع من دون النظر إلى طبيعة صانعه، أو عرقه، أو دينه، أو لونه، وهو ما يعكس قبولا واقعيًا للآخر، والنقل عنه، والإفادة من منجزه، والاعتراف به، وتقديره.

ثالثًا: الوظيفة المعرفية والتاريخية.

في واحدة من زوايا النظر إلى المعجم المختص يدور أمره على كونه مخزنًا للمعرفة والعلم، ذلك أن المصطلحات وما تحتها من مفاهيم تمثل تلخيصًا مكثف لما أنجزه الإنسان في رحلة الكشف العلمى، بحيث غدت هذه الألفاظ أو المصطلحات عناوين على مبتكرات العلماء على امتداد التاريخ.

ومن هنا فإنه بالإمكان أن يتعامل مع المعجمات الجامعة لألفاظ الحضارة سواء القديمة منها أو الحديثة باعتبارها مصادر مهمة لإعادة كتابة تاريخ العلم في مجالات مختلفة.

وهذا الملمح لم ينتبه إليه أحد –فيما يظهر– من علماء تاريخ العلوم، والحق أن هذا الجانب يسهم في حسم كثير من الدعاوى في هذا الميدان، وهو حاسم كذلك في إعادة الاعتبار للعلم العربي الذي تنكرت له الأدبيات الغربية في مجال تاريخ العلوم.

ثم إن هناك أمرًا آخر يتعلق بحلم إنجاز المعجم التاريخى للعربية، ذلك أن المصادر المعجمية القديمة والحديثة يمكن أن تعد مصادر لمتابعة العمل نحو إنجاز المعجم التاريخى للغة العربية.

معنى ذلك أن ملاحظة الألفاظ الدالة على المنجزات الحضارية على امتداد العصور التاريخية من خلال حضورها في المعاجم عهدًا بعد عصر سيسهم في تزويد مشروع والحضارية العربية على امتداد التاريخ.

رابعًا: الوظيفة الإجتماعية والنفسية

لقد أدرك الدارسون والمؤرخون أن حركات الاحتلال الغربى تركت آثارًا مدمرة على النفس العربية كان من نتائجها فقدان هذه النفس العربية وفي لغتها الوطنية.

وقد حاول زعماء التحرر الوطنى أن يعيدوا إلى النفس العربية بعضًا من هذه الثقة المفقودة التي تعرضت لغير قليل من علامات الاغتيال.

ومن الممكن أن تسهم معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة بما تضمنه من ألفاظ ومفاهيم كثير منها استوعبته اللغة العربية وعبرت عنه بامتياز – في استعادة الشخصية العربية لثقتها في نفسها، وإعادة تأسيس الإيمان بقدراتها، ومعارفها، وقدرة لغتها على التعاطى مع مستجدات الحضارة الحديثة.

وفي ذلك إعانة ظاهرة على تقديم الدعم النفسى لهذه النفس العربية، ومحاصرة علامات فقدان الثقة.

وفي الوقت نفسه تستطيع هذه المعاجم أن تدعم الحراك الاجتماعى نحو توطين ثقافة الإنتماء للسان القومى، وتوسيع شريحة المؤمنين بقدرة هذا اللسان على استيعاب العلوم الحديثة، مما يسهم في دعم دعوات التعلم والتعليم بها.

خامساً: الوظيفة التربوية والإقناعية.

إن جزءًا من نجاح معاجم ألفاظ الحضارة الحديثة في الوفاء بوظائفها الاجتماعية والنفسية تعيينًا مرهونا بما تسهم به في تحقيق الإقناع بقدرات اللغة العربية على التعامل مع المعانى الجديدة، والمفاهيم الحديثة والمبتكرات والمخترعات الوافدة.

وفحص المعاجم الحضارية الحديثة فحصا دقيقًا متأنيًا ولا سيما على مستوى أشكال صناعة المصطلحات تعريبا ونقلا، أو اشتقاقًا ونحتًا قائد تحقيق الإقناع بجدوى تعريب

العلوم الحديثة، لأن الجهاز الصرفي والمصطلحى للغة العربية قادر على النجاح في هذا السبيل؛ لإعتبارات واقعية وتاريخية معًا.

وإذا تحقق أمر هذا الاقناع امكن بعده ان نحقق نجاحات على مستوى الوظيفية التعليمية والتربوية، لانه سيهيئ الاجواء على قبول تعلم العلوم الحديثة الوافدة باللغة الوطنية القادرة ساعتئذ على التعبير عنها، والتعامل معا.

إن جزءاً من الازمة العربية المعاصرة ناتج خوف قديم من العجز الذي صوره غير فريق على أنه من خصائص العقل العربي.

وهو الأمر الذي تحطم على صخرة تاريخ المعجمية العربية قديماً، وتحطم على صخرة ما أنجزته المؤسسات العلمية والأفراد معا من معاجم معاصرة لألفاظ الحضارة الحديثة.

***

(ثانيا)
معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامى المعاصرة
أهدافها وخصائصها

(مدخل)

كان لهيمنة الاقتصاد الغربي الذي حرك وسار في خلفية حملات الغزو للبلدان الاسلامية في العصر الحديث – أثر كبير في سيادة قضاياه وتطبيقاته وهو جزء مهم لازم في إطار قراءة بعض أوجه الاضطراب والخراب الذي أصاب البنية الاجتماعية في البلدان الاسلامية.

وهو ما قاد كثيرا من أعلام الثقافة الإسلامية إلى أن يروا في غلبة النموذج الاقتصادي الغربي وجها من وجوه التبعية، وأن الحركة نحو الاستقلال الحضاري تبدأ من بيان مواز للاختلاف بين الاقتصاد الإسلامى وغيره، وأن يروا في صنع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى خطوة لابد منها في " السبيل إلى وضع لبنة في صرح الاستقلال الحضاري لأمتنا، عندما يصنع وييسر للعقل العربي والمسلم سبل إدراك ما لحضارتنا من خصوصية في المعاني والمضامين والمفاهيم في حقل الاقتصاد، فيسهم بذلك في تحرير العقل الاقتصادي من إسار التبعية وأسر التغريب" [قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة وبيروت، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م، (ص١٧)].

وهذه الرؤية ليست رؤية فردية دعا إليها إحساس مبهم بالخطر بل كان إحساسا مجمعا عليه، يدلل على ذلك توصيات المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى المنعقد في مكة المكرمة في ٢١-١٣٩٦/٢/٢٦هـ = ٢١-١٩٧٦/٢/٢٦م الذي حرص على بيان أنه من المهم ترسيخ مفاهيم الإسلام الاقتصادية التي ترى في أن الكون كله لله وفي أن المال مال الله وفي أن الإنسان مستخلف على ما تحته من نعم الله. وأن واحدا من سبل ترسيخ هذه المفاهيم :" وضع معجم لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى بمختلف اللغات"! [انظر هذه

التوصيات في : النظام الاقتصادي في الإسلام : مبادئه وأهدافه للدكتور أحمد العسال والدكتور فتحي أحمد عبد الكريم، مكتبة وهبة ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م، (ص ١٦٧-١٦٨)].

(١) الإسهام المعاصر في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامي.

لا شك أن ثمة محاولات مبكرة في العصر الحديث نهضت بعبء التعريف بمبادئ الاقتصاد الإسلامى وبأهدافه وغاياته، وبيان ما يميزه عن غيره من أنواع الاقتصاد الوضعي، وفي هذه الطريق اتضحت مجموعة ضخمة من مصطلحات الاقتصاد الإسلامى.

وفي هذا السياق لا يمكن التغافل عن أسماء لها خطرها وحضورها في هذا الميدان المهم أسهمت مع غيرها في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامى؛ أي مجموعة مصطلحات هذا العلم التي تشكل مفاهيمه.

ومن أشهر علماء الاقتصاد الإسلامى المعاصرين : أحمد محمد العسال وحسين حامد حسان وحسين شحاتة ورفيق المصري، وسعيد آل لوتاه وشوقي دنيا وسليمان الراجحى، وعبد الحميد البعلى، وعبد الحميد الغزالى، وعبد الستار أبوغدة، وعبد الله المنيع، وعلى الخفيف وعلى السالوسى وعيسى عبده، ومحمد عمر شابرا، ومحمد نجاة الله الصديقى، ومصطفي الزرقا، ونزيه حماد، ونظام يعقوبى، ويوسف القرضاوى ويوسف كمال. وكثيرون غيرهم من أجيال أساتذة الاقتصاد الإسلامى الذين جاءوا بعد هؤلاء.

على أن ما يعنينا هنا بعد – الإشارة السريعة هذه إلى إسهام هؤلاء في خدمة مصطلحية الاقتصاد الإسلامى – هو التعريف بالمعاجم المعاصرة التي استقلت للعناية ببيان معاني مصطلحات الاقتصاد الإسلامى، وتقديم تعريفات وافية تعين على إدراك مفاهيمه وتصوراته.

وقد برز في هذا السياق ثلاثة معاجم هي كما يلي (مرتبة وفق تاريخ صدورها)

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية للدكتور محمد عمارة (طبعة دار الشروق، القاهرة / بيروت، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م في ٦٣٦ص مع فهارس للمصطلحات).

٢- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد، (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، هيرندن / فيرجينيا، سنة ١٤١٤هـ= ١٩٩٣ م في ٣٠٨ص مع تقديم للدكتور طه جابر العلوانى مع فهارس للمصطلحات والمراجع).

٣- مصطلحات الفقه المالي المعاصر : معاملات السوق، بتحرير وإشراف يوسف كمال محمد، (طبعة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م في ٢٨٥ ص، مع كشافات موضوعية، وفهارس هجائية وتقديم).

(٢) أهداف معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة.

يدرك من – يفحص مادة هذه المعاجم الاقتصادية أنها ظهرت لتحقيق عدد معين من الأهداف المعرفية والعملية والحضارية، وهو ما ظهر من ثلاثة الأسماء الذين صنعوها فهم جميعا أبناء بررة للفكرة الاسلامية، وأبناء بررة للاقتصاد الإسلامى.

وفيما يلي رصد لمجموعة من الأهداف التي حرصت هذه المعاجم على الوفاء بها هي على الإجمال :

أ- العناية بإظهار فارق ما بين طغيان البعد المادي على الحياة المعاصرة الذي ترسخه مفاهيم الاقتصاد الوضعي وبين النظر إلى المال باعتباره مال الله الذي استخلف عبيده في إدارته، وهذه العناية محاولة للانتصاف للاقتصاد الإسلامى ودعوة للتحول إليه في التطبيقات المعاصرة.

ب- إعادة تقديم مفاهيم الاقتصاد الإسلامى عبر مصطلحاته للجماهير المعاصرة بعد أن غيبتها أنظمة كثيرة تبنت نظريات اقتصادية غير إسلامية حتى غدت مبادئ الاقتصاد الإسلامى تعانى الغربة في الأوطان المسلمة؛ ذلك أن المعاجم " في منظور إسلامية المعرفة تعتبر من الأدوات الأساسية المساعدة في بناء النسق المفاهيمى في العلوم التي تؤلف في مجالها " على تعبير الدكتور طه جابر العلوانى في تقديمه لمعجم المصطلحات الاقتصادية للدكتور نزيه حماد (ص ١٦).

ج- إعادة بناء الجسور بين العلوم المعاصرة وامتداداتها التراثية بعد عمر من القطيعة المعرفية أو شبهها التي حاول الغزو الغربي صنعها في تاريخ الأمة الاسلامية المعاصرة

عندما حرص في أنظمته التعليمية وأنظمته الحاكمة التنفيذية على فصل الأمة عن تاريخها المعرفي بخصائصها المائزة وهو ما نجح في كثير من المواطن في تحقيقه حتى غدا القول بحاجتنا إلى إعادة الكشف عن هويتنا أمرا صحيحا إلى أبعد الحدود.

د- تقديم نماذج عملية يمكن احتذاؤها والنسج على منوالها في كثير من الميادين المعرفية التي عانت من مثل ما عانى منه الاقتصاد الإسلامى من التغريب والتشويه.

هـ- كسر حالة التبعية الحضارية في الميدان الاقتصادي عن طريق بيان استقلال النظرية الاقتصادية الاسلامية.

و- إعادة تقديم المفاهيم الاقتصادية الاسلامية في صورة عصرية تيسر الإفادة من الأدبيات الاقتصادية الاسلامية التراثية، وهو واحد من أهم أهداف المعجمية الاسلامية المختصة المعاصرة في الميادين المختلفة.

ز- المساعدة في تقديم تصور مترابط للحقول التي تشكل ميدان علم الاقتصاد عند المسلمين بحيث تترابط هذه الحقول بفلسفة الإسلام الكبرى في تعبيد الكون لله، وبيان أن الإنسان مستخلف في أرض الله سبحانه، وأن المال من ضمن ما لله سبحانه في الكون وأن الإنسان مستخلف في هذا المال، وعليه أن يديره وفق الضوابط التي شرعها الله سبحانه.

ح- المساعدة – على المدى الطويل – في بناء مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى ولا سيما بعد تقديم معاجم ترتيب مداخلها / ومصطلحاتها وفق منهج موضوع دلالي، وليس هجائيا على ما سوف نرى في معجم الدكتور يوسف كمال رحمه الله تعالى.

ولا يصح هنا الاستشهاد بالجزء الذي تضمنه مكنز الفيصل (١٤١٥هـ= ١٩٩٤م) عن مصطلحات الاقتصاد الإسلامى، حيث ضم ثلاثمئة مصطلح فقط، وهو عدد قليل جدا عما يتوقع أن يضمه مكنز لمصطلحات الاقتصاد الإسلامى، على ما يقرر الدكتور هانئ محي الدين عطية [نحو منهج لتنظيم المصطلح الشرعي: مدخل معرفي معلوماتي، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامى، بالقاهرة سنة ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، (ص ١٧٠)].

ومن ناحية أخرى فأمثال هذه المعاجم تسهم في عملية تطوير أمثال هذه المكانز المستمرة؛ كل فترة من السنوات؛ لتضم مصطلحات جديدة في كل عملية للتحديث.

ط- المساعدة في دراسة شمول الشريعة الاسلامية عن طريق فحص المصطلحات الرحالة المتنقلة إلى الاقتصاد الإسلامى من حقول معرفية مختلفة عقدية وعبادية وأخلاقية واجتماعية وغيرها؛ لتتضافر الأدلة على استحالة نجاح العلمانية الشاملة أو الجزئية في البلدان الاسلامية.

ك- تقديم المفاهيم الاقتصادية المعاصرة وتقديمها في ضوء المعرفة الاقتصادية الاسلامية، لبيان حجم المخاطر القائمة والمتوقعة ومحاصرتها، جانب والإفادة من الجديد واستثماره إن أمكن بعد فحص عدم معارضته لأصول النظر الاقتصادي الإسلامى.

ل- إيجاد مصطلحات جديدة لمفاهيم اقتصادية إسلامية تراثية تعين على طرح المفاهيم هذه في صورة عصرية واضحة من جانب، والتغلب على الفجوات المعجمية لما يظهر من مفاهيم اقتصادية معاصرة موضع مصطلحات ملائمة تعين على تأمل أمرها من شكل المصطلح الخارجي، ثم الحكم عليه برده أو قبوله.

م- المساعدة في بناء تراكم معرفي أو قاعدة علمية تعين على إعادة تقديم الاقتصاد الإسلامى وتيسر عملية تعليمه بين المشتغلين به تعليما وتعلما.

فهذه مجموعة من الأهداف الأساسية التي تسعى مجموعة المعاجم هذه على تحقيقها.

(٣) منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامي المعاصرة.

وقد حكمت هذه الأهداف السابقة منهجية ترتيب المصطلحات في معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامى المعاصرة، فظهر منهجان حكما هذا الترتيب هما :

أ- منهج الترتيب الألفبائى الهجائي غير التجريدي

ب- منهج الترتيب الموضوعي.

و قد جاء على المنهج الألفبائى معجمان هما :

١- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، للدكتور محمد عمارة.

٢- ومعجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد

وقد كان الوعي بأهمية هذا المنهج حاضرا في هذين المعجمين، حيث حرصا على توفير التيسير للمستعملين انطلاقا من وعى معجمي يرعى ما يسمى في المعجمية المعاصرة بمنظور المستعمل، ويرعى من جانب آخر مهم جدا خلقا إسلاميا يتمثل في التيسير على الخلق، واستثمار تطبيقاته في هذا الميدان.

وقد ظهر هذا الوعي بفوائد هذا المنهج الألفبائى غير التجريدي في بعض ما قدم به بين يدى بعض المعاجم التي طبقته، يقول الدكتور محمد عمارة في مقدمة معجمه (ص٢١): " فلقد آثرنا ترتيب مواده على النحو الذي ييسر الاستفادة منه والانتفاع به لأوسع جمهر من الباحثين والقراء ".

ثم يعود فيقرر (ص٢٢) :" ولعل في هذا التيسير ما يعين على أن ينهض هذا القاموس بالرسالة الفكرية والحضارية التي ابتغيناها من وراء وضعه إن شاء الله "

أما الاتجاه الثاني (ب) فقد رتبت المصطلحات فيه ترتيبا راعى بناء نظرية اقتصادية إسلامية بمجموعة المصطلحات التي تصرفت وهو منهج قديم في المعجمية العربية، سمى أحيانا باسم معاجم المعاني وأحيانا باسم معاجم الموضوعات.

وقد رتبت المصطلحات وفق حقول أو موضوعات أربعة كما يلي :

١- مصطلحات الخلافة (المشكلة الاقتصادية) : النعم = الموارد / والحاجات.

٢- مصطلحات الإعمار (الإنتاج) : أقسام المال / العروض.

٣- مصطلحات الرزق (توزيع الدخل).

٤- مصطلحات السوق (نظرية القيمة).

وقيمة هذا المنهج أنه يعطى المستعمل صورة هيكلية للنظام الاقتصادي تظهر الصلة العضوية بين المصطلحات المختلفة.

ولم يضح المعجم بالتزام هذا المنهج في الترتيب بالمبدأ العام الحاكم في المعجمية الاسلامية المختصة المعاصرة وهو ما سميناه بمبدأ التيسير على الخلق، حيث حرص

صانع المعجم ومحرره الدكتور يوسف كمال رحمه الله على أن يزيله بفهرس للمصطلحات مرتبة على الترتيب الهجائي غير التجريدي.

وقد حرصت المعاجم الثلاثة مشغلة مقالنا هذا على استعمال طريقة شائعة مفيدة في تعريف المصطلحات، تسمى في أدبيات علم المعجم باسم طريقة التعريف المحكم؛ أي تعريف المصطلح بذكر السمات الدلالية المميزة له، والقسمات الفارقة بينه وبين غيره، مع العناية في أحيانا كثيرة بجانب ذلك باستعمال طريقة الشرح بالأمثلة مع العناية ببعض المعلومات الموسوعية التي تعين على أداء هذه المعاجم أهدافها.

ومن الأمثلة التي تجلى ذلك :

يقول الدكتور محمد عمارة في تعريف مصطلح (الاحتكار) ص ٣٣ : [الاحتكار : لغة : الجمع والإمساك والاحتباس. والحكرة : اسم للاحتكار. والاحتكار شرعا - : اشتراء قوت البشر والبهائم وحبسه انتظارا لغلاء سعره. ولقد اختلف في المدة التي إذا بلغها الاحتكار استوجب المحتكر عقاب الاحتكار الدنيوي، فقيل : إنها أربعون يوما، قيل : هي شهر، وقيل هي أكثر من سنة. أما الإثم الأخروي فغير متوقف على مدة بعينها إذ تكفي فيه نية الاحتكار وفي الأحاديث النبوية :" من احتكر للمسلمين طعاما ضربه الله بفقر وإفلاس "، و"بئس العبد المحتكر، إن أرخص الله الأسعار حزن، وإن أغلاها فرح، إن سمع برخص ساءه، وإن سمع بغلاء فرح " و" يحشر الحكار وقتلة النفس في درجة واحدة ".

ففي هذا التعريف حرص الشارح على بيان ما يلي :

١ - السمات الدلالية المائزة التي تبين عنى الاحتكار بما في ذلك المدة المعتبرة التي يصير فيها حابس الطعام محتكرا.

٢ - الحكم الشرعي وهو الحرمة المغلظة وترتب العقوبة دنيا وآخرة.

٣ - الأدلة الشرعية التي تقوم مقام الشواهد المعجمية وأكثر.

٤- المعنى اللغوى في مفتتح التعريف للإعانة على إدراك المعنى الاصطلاحي بعدما تخصص من المعنى اللغوى العام.

ومتابعة ما ورد تحت المدخل نفسه عند يوسف كمال رحمه الله يدلل على سقوط الأنظمة الاقتصادية المعاصرة في مواجهة الاحتكار مقارنة بالإجراءات الوقائية ثم العقابية لحماية المجتمع من آثار الاحتكار في الاقتصاد الإسلامى.

وقد قام أصحاب معاجم مصطلحات الاقتصاد الإسلامى على توثيق مادة معاجمهم فراجعوا إلى عدد كبير من المصادر الأصيلة التي توزعت على أربعة أنواع هي :

١- معاجم مصطلحات تراثية (كالتعريفات للجرجاني ومفاتيح العلوم للخوارزمي/ والمصباح المنير للفيومي وتحرير التنبيه للنووى والتوقيف للمناوى الخ).

٢- المصنفات الفقهية المختلفة تراثية وغير تراثية موزعة على المذاهب الفقهية المتعددة بما فيها الموسوعات وأعمال المؤتمرات الفقهية الخ

٣- المعاجم العامة اللغوية القديمة والحديثة.

(٤) حاجة الاقتصاد الإسلامى إلى معاجم جديدة وإلى تطوير معاجمه الموجودة.

والحق يقتضى أن نقرر أن الاقتصاد الإسلامى بما يواجهه من تحديات في حاجة إلى معاجم تعنى بمصطلحاته تعريفا وشرحا وتمثيلا وفي حاجة إلى تطوير ما هو موجود منها بزيادة مداخله ومراجعة مادته، وتحديثها، وخدمته بما هو مستقر في المعجمية المعاصرة؛ لتيسير استعمالها.

وقد كان لغياب عدد من المصادر التراثية المعنية بالمصطلح الاقتصادي الإسلامى أثره في غياب عدد كبير من هذه المعاجم المعاصرة فيما يلي أمثلة لها:

- الاستيفاء، أخل به عمارة = وهو العلم بقوانين يعرف بها ضبط مداخل أموال الديوان وإخراجاتها لكيفيات المحاسبات وكمياتها.
- التلجئة، أخل به عمارة = وهو تسليم الضعيف ضيعته إلى قوى ليحامى عليها.
- الحشري، أخل به عمارة ونزيه حماد : وهو ميراث من لا وارث له.

- العريضة، أخل به عمارة ونزيه حماد : وهو شبيه بالتأريخ.

وهذه أمثلة أردنا من وراء إيرادها بيان الحاجة الماسة إلى استمرار التطوير والتحديث من جانب والحاجة إلى إيجاد معاجم جديدة ترعى مطالب المصطلح الاقتصادي الإسلامى؛ لتبرهن على وضاءة وجه طالما غبرته رياح الهيمنة الغربية المخاصمة لديننا وأمتنا وأوطاننا.

***

(ثالثا)
المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية
مصادرها ووظائفها

(مدخل):

أنتجت الحضارة الإسلامية نظرية عسكرية متفردة الجوانب منذ اليوم الذي فرض الله سبحانه فيه الجهاد والقتال، وكان نزول قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [سورة الحج ٣٩/٢٢] مفتتحا واضحا بعد زمان طويل من الدعوة التي ترفع شعار كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة، وهي حقبة امتدت لتغطى مساحة البعثة المكية كاملة، وامتد ظلالها مدة سنتين بعد الهجرة النبوية المشرفة تقريبا يقول القرطبى في الجامع(٦٨/١٢) " لما هاجر نزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾... وهي أول آية نزلت في القتال " [تفسير القرطبى ٦٨/١٢، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٨٧م] افتتح بها عهد الإعداد له.

وهو أمر واضح جدا في تتبع المعاصرين، حيث يقرر العلامة يوسف القرضاوى أن الإذن بالقتال كان الطور الذي جاء بعد مرحلة جهاد الصبر على الأذى ومنع القتال يقول في كتابه فقه الجهاد ٢٢٩/١ " ثم كانت الهجرة إلى المدينة، وانتقل الجهاد من صورته المكية (الصبر) إلى صورة أخرى : صورة الصدام المسلح الذي فرض على الرسول والمسلمين فرضا، وهم كارهون له، ولكنهم مضطرون إليه كما قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [سورة البقرة ٢١٦/٢] " [فقه الجهاد ٢٢٩/١ للدكتور يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة بالقاهرة سنة١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م].

منذ هذا التاريخ البعيد تشكلت أبعاد النظرية العسكرية الإسلامية بنطاقاتها المختلفة من أصول حاكمة وأخلاق مقيدة، ومعرفة منظمة وواكب هذا التطور والتشكل جهاز اصطلاحي كاشف عن هذه الحدود والأبعاد، وهو الأمر الذي يظهر أن تاريخ ظهور

مصطلحات العسكرية الإسلامية يبدأ من الإذن بالقتال وإن كان ثمة ألفاظ عسكرية ورثها من الحقبة الجاهلية ولكن وهبها من روحه الإسلامية، وصبغها بصبغته ومبادئه.

(١) مصادر مصطلحية العسكرية في الحضارة الإسلامية.

وقد أسهمت مصادر كثيرة جدا في بناء الجهاز الاصطلاحى للعسكرية باللسان العربي، نمت وتطورت وتوسعت مع مرور الزمان، حتى غدت مصطلحية العسكرية في المعجمية العربية تمثل ثروة لغوية ضخمة بلا مبالغة.

وفيما يلي محاولة تسعى إلى تتبع المصادر التي أسهمت في بناء معجم المصطلحات العسكرية في لغة العرب، مما سميناه باسم مصطلحية العسكرية في لغة العرب؛ ذلك أن لفظ المصطلحية يعنى هنا مجموعة المصطلحات التي تستعمل في علم العسكرية عند المسلمين.

أولا- المصادر التاريخية

عرف المجتمع العربي قبل مجئ الإسلام بمجموعة من السمات وسمت رجاله بالقوة والفتك والإغارة والحرب، وأنتجت هذه المعرفة مصطلحات دالة على ما كان بين قبائل هذا المجتمع العربي من حروب طاحنة ممتدة مع الزمن؛ من مثل مصطلح أيام العرب، وهو ما يتوقع معه إنتاج عدد وافر من الألفاظ الحربية أو العسكرية الموزعة على المجالات أو الحقول الدلالية المختلفة.

ومن هنا فإن العناية بمصطلحات العسكرية العربية جمعا وشرحا وتصنيفا لا يمكنها أن تتغافل عن مصنفات التاريخ العربي بحال من الأحوال، ويمكن تمييز عدد من أنواع المصنفات التاريخية المعتبرة أهميتها في هذا السياق كما يلي :

١- المصنفات التاريخية المعنية في المقام الأول بالتأريخ لأيام العرب وحروبهم معًا قديما وحديثا، ولا سيما مصنفات التاريخ العام، كتاريخ الطبرى، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

وقد اعتنى بعض المعاصرين فصنف تصانيف مستقلة في أيام العرب في الجاهلية والإسلام امتلأت بعدد وافر من الألفاظ المنتمية والمنضوية تحت المجالات العسكرية

والحرب، على ما نرى أمثلة لمثل هذه المصنفات في أيام العرب في الجاهلية للأفاضل محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ومحمد أبى الفضل إبراهيم، وأيام العرب في الإسلام للكريمين محمد أبى الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى أيضا.

وقراءة أحداث أي يوم في الكتابين منبئ عما نقول، ففي سياق أحداث يوم الشِّباك الذي كان بين بنى القصاف من تميم وبين بنى تيم الله بن ثعلبة من بكر، وكانت الغلبة فيه لتيم تواجهنا الألفاظ العسكرية التالية (ص ٢٢٦) قتل / أسر/ حبس / توعد / طلب الدم / تخلية السبيل / خروج / شدّ / وهذه كلها ألفاظ حربية تنضوى تحت مجالات عسكرية محددة اليوم في المعرفة العسكرية المعاصرة؛ إذ يندرج بعضها تحت حقل المصطلحات العسكرية العامة من مثل : الشد والقتل، وبعضها يندرج تحت حقل الانضباط العسكرى من مثل الحبس، وبعضها يندرج تحت حقل سلاح المشاة من مثل الخروج إلخ.

ومثل ذلك ممكن في قراءة أحداث يوم بدر (غزوة بدر)ص٧-٣٠ حيث تقابلنا الألفاظ الحربية والعسكرية التالية :

رصد (استطلاع) / شهادة (عسكرية عامة) / الاستنفار (تعبئة) اعتقاب = ركوب الخيل (سلاح الفرسان) الإناخة (تحصن بأرض المعركة)/ حزر (استطلاع) وهو محاولة تقدير قوة العدو، وغير ذلك من الألفاظ التي يمكن التقاطها من أمثال هذين المصدرين.

٢- مصنفات السيرة النبوية بوجه عام من لدن ابن هشام وإلى الصالحى الشامى صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مع عدم إهمال المؤلفات المعاصرة في هذا الميدان.

٣-مصنفات الغزوات تعيينا من مثل المغازى للواقدى، والغزوات لابن حبيش، والاكتفا في مغازى الرسول والثلاثة الخلفا للكلاعى.

٤- مصنفات الفتوح الإسلامية، من مثل فتوح البلدان للبلاذرى، والفتوح لابن أعثم الكوفي وغيرهما.

٥- مصنفات الحكومة الإسلامية أو إدارة الدولة عند المسلمين من مثل : تخريج الدلالات السمعية، للخزاعى، وشرحه وتطويره المسمى بالتراتيب الإدارية للكتاني.

٦- المصنفات الموسوعية العربية كنهاية الأرب للنويرى، وصبح الأعشى للقلقشندى.

٧- مصنفات التراجم الشخصية المعنية بالشخصيات العسكرية تعيينا على ما نرى في سيرة صلاح الدين لابن شداد، والاعتبار لأسامة ابن متفذ، ففيه عدد ضخم من الألفاظ العسكرية الخاصة بالتخطيط والجغرافية العسكرية، والأسلحة المختلفة، وألفاظ الخدمات الطبية.

ثانيا- المصادر الشرعية

وإذا كانت النظرية العسكرية في الحضارة الإسلامية مدنية في تطورها واتساع معجمها الاصطلاحى للأصول القرآنية والحديثية؛ فإنه من المنطقى أن يمثل هذان الأصلان مصدرًا أساسيا يستمد منه عدد كبير من ألفاظ العسكرية العربية؛ ففي مجال فحص ما أسهم به القرآن الكريم وقدمه لقوائم المصطلحات العسكرية يفطن محمود شيت خطاب رحمه الله في معجمه (المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم) [طبعة دار الفتح، بيروت ١٣٨٦هـ= ١٩٦٦م] إلى أصالة النص العزيز في دعم مصطلحية العسكرية العربية.

والقرآن الكريم ملئ بعدد ضخم من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة، والتخطيط، ومواجهة العدو، والجغرافية العسكرية، مما هو ظاهر في عمل المرحوم محمود شيت خطاب، مما سنقف عليه بعد قليل.

ولا تقل مصنفات السنة الشريفة أهمية في هذا الميدان، ذلك أن عددًا من أبواب كتب السنة تشتمل على ألفاظ عسكرية كثير، ولا سيما في أبواب الجهاد والفتن.

ومن هنا فإن المصادر الدائرة في فلك هذين المصدرين الأعليين يجب تقدير خطرها في جمع المصطلحات العسكرية وشرحها وتصنيفها من مثل شروح السنة وتفاسير الكتاب العزيز فيما يتعلق بآيات القتال والجهاد، وأحاديث الجهاد والقتال، ومن مثل مدونات الفقه الكبرى، ولا سيما في أبواب الجهاد والقتال والدفع والصلح والمعاهدات.

ثالثا-المصنفات الفنية (الحربية والعسكرية)

وقد عرفت الحضارة العربية الإسلامية عددًا من المصنفات الخاصة ببعض فروع النظرية العسكرية؛ حيث ظهرت مؤلفات خاصة بالأسلحة وأنواعها، وصناعتها، وصيانتها، ومؤلفات خاصة بالحرب، وتوزيع الجنود، وتقسيمهم ونحو ذلك من الموضوعات المندرجة في هذا السياق، وبالإمكان تمييز ثلاثة أنواع من هذه المصنفات المفيدة في خدمة المعجمية العسكرية العربية فيما يلي :

١- مصنفات القنص والصيد، وهي مفيدة جدا في استخراج عددٍ من المصطلحات العسكرية العربية المتعلقة بالتدريب، والخطط على وجه التعيين بالإضافة لألفاظ الأدوات وألفاظ الطرق التي كانت مستعملة في الصيد والقنص إلى غير ذلك.

ومن أشهر مصنفات الصيد والقنص عند العرب : المصائد والمطارد لكشاجم،وانتهاز الفرص في الصيد والقنص للناشرى [حققه ونشره عبد الله محمد الحبشى بالمجمع الثقافي بأبى ظبى سنة ٢٠٠٢م].

٢-مصنفات الأسلحة عند العرب، وهي مفيدة جدًّا في استخراج المصطلحات العسكرية الخاصة بالأسلحة والذخيرة، ومفيدة في بيان ما كان مستعارا من غير العرب، وما أبدعته العقلية العربية أو طورته مما هو ظاهر خلف تسميات الأسلحة المختلفة.

ومن أشهر هذا النوع من المصنفات العسكرية الخاصة بصناعة الأسلحة عند المسلمين كتاب الأنيق في المناجنيق، لابن أرنبعا الزردكاش [حققه ونشره الدكتور إحسان هندى ضمن سلسلة مصادر ودراسات في تاريخ التكنولوجيا العربية رقم (٤) بجامعة حلب ومعهد المخطوطات العربية سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م].

٣-مصنفات المناصب الحربية، وهي مهمة في الكشف عن جوانب الفكر العسكرى الإسلامى وما قدمه من أفكار حول الخطط العسكرية والآلات، والطب العسكرى، ومعالجات الطوارئ في أثناء المعارك، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب [حققه ونشره عيد ضيف العبادى، بوزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد سنة ١٩٨٤م].

ويمكن أن يضاف إليها ما ظهر حديثا من مؤلفات تنظر للإستراتيجية العسكرية لغزوات النبى صلى الله عليه وسلم، من مثل كتاب محمد فرج عن الإستراتيجية العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق [طبعة مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م].

رابعا-المعاجم اللغوية العربية

وإذا كانت المعاجم اللغوية بحكم طبيعتها تعنى بجمع الألفاظ وشرح معانيها، فإن المنطقى عند الانشغال بأية عملية للعناية بجمع المصطلح العسكرى وشرحه وتصنيفه أن تقف أمام المعجمات اللغوية العربية ولا سيما المطول منها؛ لأنها اعتنت بجمع الألفاظ العربية في الميادين المختلفة، ومن المهم جدا أن نخص في هذا السياق المعاجم اللغوية العربية ذات الصبغة الموسوعية من مثل : لسان العرب، لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزابادى، وشرح القاموس المسمى بتاج العروس للزبيدى، فضلا عن ضرورة العناية الفائقة بفرع من المعاجم العربية الخاصة بالموضوعات العسكرية، مما يسمى في تاريخ المعجمية العربية بالرسائل اللغوية الصغيرة، أو المعاجم الموضوعية ذات الموضوع الواحد، من مثل كتاب السلاح، لأبى عبيد، وأسماء السيف لابن خالويه، والرسائل الخاصة بالنبل والسهام والرماح، مضافا إليها معاجم الألفاظ العجمية، للوقوف أمام عدد كبير من الألفاظ العسكرية التي انحدرت من لغات أخرى كان لها عناية بالجانب العسكرى؛ كالفرس، واليونان، من مثل المعرب للجواليقى، وقصد السبيل للمجبى، وشفاء الغليل للشهاب الخفاجى وغيرهم. هذا جانب.

ومن جانب آخر فإن معاجم المصطلحيات، أو معاجم المصطلحات المتعددة العلوم تجمع في داخلها عددا كبيرا من المصطلحات العسكرية والحربية هي ولا شك ثروة عظيمة في تقدير خطر هذا الميدان المهم، وأشهر المعاجم من هذه الأنواع هي :

مفاتيح العلوم للخوارزمى، والتعريفات للجرجانى، والكليات للكفوى والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوى، ومقاليد العلوم المنسوب للسيوطى، ودستور العلماء للأحمد نكرى، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى، والتعريفات والاصطلاحات لابن كمال باشا، وهي جميعا منشورة محققة.

خامسا- مؤلفات رواد النهضة الإسلامية المعاصرة

ظهرت محاولات كثيرة في المشرق والمغرب الإسلاميين في العصر الحديث ترعى إرادة استحياء الأمة، وإعادة نهضتها، وكان مما سكته من سبل لتحقيق هذه النهضة العودة إلى الأصول الإسلامية الأصيلة.

وكان من المجالات التي لمسها هؤلاء الرواد ضرورة التنبيه إلى خطر إزاحة عدد من المصطلحات المتعلقة بالهوية الإسلامية ومنها عدد من المصطلحات العسكرية المنبثقة من الحضارة العربية والإسلامية؛ فظهر التحذير من إماتة ألفاظ من مثل : الجهاد لمصلحة الدفاع، والمجاهد لمصلحة الجندى أو العسكر، والمرشد لمصلحة ألفاظ أجنبية أو معربة للفظ مكافئ دال على رتبة عسكرية بعينها.

وقد كان هذا النوع من التحذير في كتابات عدد من رواد النهضة الإسلامية المعاصرة داعيا إلى أن هذه المصطلحات العسكرية مملوءة بشحنات وجدانية منسربة إليها من الثقافة الإسلامية المحكومة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وممارسات عصر النبوة، وعصور الفتوحات.

وهو الأمر الذي فطن إليه الغرب في صراعه مع العالم الإسلامى إلى أن نجح في إزاحة منظومة المصطلحات العسكرية ذات الصبغة الإسلامية ليحل محلها مصطلحات عسكرية أخرى وليدة سياق ثقافي غربى.

ومن المهم جدا عدم إهمال أمثال كتابات محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والعقاد ومالك بن نبى وعلال الفاسى، والبشير الإبراهيمى والكواكبى وغيرهم حول شروط النهضة، والتغيير، والإصلاح.

صحيح أن هذا الفرع من المصادر هامشى بجوار الأنواع الأربعة التي مرت لكنه مهم في إطار قراءة الصبغة الحضارية للمصطلحات العسكرية في اللسان العربي بفضل الإسلام الذي حكم أبعاد النظرية العسكرية العربية، بما فيها من جهاز اصطلاحى.

(٢) وظائف المصطلحات العسكرية وما تعكسه من علامات :

من المستقر في علم المصطلحية أن مجموعة مصطلحات مجال معرفي ما تمثل نظام من المفاهيم والتصورات، بحيث يمكن أن نقرر أن المصطلحات العسكرية عند العرب تعكس نسقا من المفاهيم والتصورات يتجلى على مرآتها وصفحاتها المعانى الإسلامية التي أرادها الدين العظيم من وراء النظرية العسكرية التي أظهرها للوجود الإنسانى.

وإذا كان ذلك صحيحا فإن النظر إلى المصطلحات العسكرية في العربية من زاوية الوظيفة، وما تعكسه من علامات يدلل على أن ألفاظ هذا المجال العلمى يقود إلى خدمة الوظائف التالية :

١ – الوظيفة الدينية والإيمانية؛ بمعنى أن النظر إلى حقل المصطلح العسكرى في لغة العرب يصور ما صبغه الإسلام لهذا الجهاز الاصطلاحى؛ ذلك أن عددا من الألفاظ العسكرية أصابها قدر ضخم من التطور أو التغير على مستوى الدلالة والمعنى بحيث يمكن قياس فارق ما بين دلالات المصطلح العسكرى الإسلامى مقارنة بدلالات المصطلح العسكرى العربي قبل الإسلام؛ وقراءة ألفاظ من مثل : المُثلة قائد إلى تصور منظومة الأخلاق التي أحاطت بعدد كبير من ألفاظ هذا الميدان المعرفي.

أضف إلى ذلك أن المعنى الدينى والإيمانى قائم خلف عدد ضخم جدا من ألفاظ العسكرية الإسلامية، وهو ما يظهر ظهورا واضحا في تحليل المصطلحات العسكرية التالية : الثبات، والجهاد والمجاهد، والشهيد، والنجدة وغير ذلك.

بمعنى أن هذه الألفاظ وإن كانت تحتل مواقعها على خريطة مجالات دلالية عسكرية معينة، فإنها ترتبط ارتباطا عضويا بمفهوم العبادة بالمعنى الشرعى، وهي واحدة من الخصائص الفريدة للجهاز الاصطلاحى للعسكرية العربية بسبب من انطلاقها وانبثاقها من التصور الإسلامى اعتقادا وعبادة.

ويتفرع من هذه الوظيفة مسألة مهمة جدًّا تتعلق بما يسمى بالهوية، أو بناء الذات والشخصية، ذلك أن المجاهد / المقاتل المسلم تتبدى له شخصية ذات قسمات واضحة

من خلف تأمل المصطلحات العسكرية في العربية، فهي شخصية عابدة بما تمارسه من فعل عسكرى، غير مخرب، مقبل على جهاده بروح يملؤها اليقين في تأييد السماء إلخ.

٢- الوظيفة الحضارية والمعرفية.

يؤدى معجم المصطلحات العسكرية دورا حضاريا بما يعكسه من علامات تصب في هذا الباب المهم؛ ذلك أن الألفاظ العسكرية في العربية تعكس ما طوره المجاهد المسلم في مجالات العمل العسكرى المختلفة بدءًا من الإعداد والتعبئة وانتهاء بالنصر أو بتوقف القتال، وتعكس ما أبدعه أو ابتكره من خطط وآلات وأسلحة، وهو ما يتجلى فيما ظهر من مصطلحات عسكرية عربية جديدة كانت نتاج حضارة الدين الجديد، وما بثه من روح في جنوده.

ولعل أهم تجليات هذه الوظيفة الحضارية البادية من خلف الجهاز الاصطلاحى للعسكرية في الحضارة الإسلامية ما يلي:

أ- استمرار الإبداع والابتكار والتطوير في الميدان العسكرى في مواجهة أعداء الأمة، مما أظهر مفردات عسكرية جديدة تشير إلى ما أبدعه العقل المسلم في هذا الميدان في مجالاته المختلفة، وهو ما يمكن من رصد المنجز المعرفي للعقل العربي المسلم الذي أمد به ميادين العلم والتقنية العسكرية.

ب- قبول الآخر وتقدير منجزه المعرفي، وهو ما تجلى فيما نقل عن هذا الآخر من أدوات وأسلحة وطرق تدريبية، وتخطيطية، وهندسية، مما يظهر على مستوى المصطلحات العسكرية ذات الأصول اللغوية الأعجمية؛ كالمنجنيق، والنار اليونانية، والقبق، وهي إحدى الطرق التدريبية، والسندروس وهو نوع من الصّمغ، وهو مبدأ يظهر انفتاح العقل العسكرى العربي المسلم طلبا لما ينفع دينه، ويرد كيد عدوه.

ومن مجموع هاتين المسألتين يمكن تثمين ما تطورت به العسكرية العربية في زمانها، وقدمته من خدمات لترقى الحضارة الإنسانية في ميادين العلم العسكرى.

٣- الوظيفة اللغوية

وهي من الوظائف المهمة جدا في السياق المعاصر ولا سيما في مواجهة عدد من الأصوات المنتمية معرفيا لحقول العلم التطبيقية والتجريبية والتقنية التي لا ترى في الأفق قدرة للعربية على استيعاب المنجز المعرفي في الغربى في هذه الميادين والتفاعل معها والتعبير عنها؛ ذلك أن تأمل ما وضعه اللسان العربي من تسميات ومصطلحات لعدد ضخم جدا لتصورات ومفاهيم منضوية تحت العلوم العسكرية من جانب، وما استطاعت أن تستوعبه، وتعربه مما نقلته من تسميات ومصطلحات عسكرية من الأمم الأخرى من جانب آخر دليل واضح على ما تمتلكه من قدرات تؤهلها للتعاطى مع العلوم العسكرية المعاصرة، مما يبعث على الثقة في نفوس العسكريين العرب المعاصرين، وهو ملمح مهم داخل في باب مهم من أبواب المعرفة العسكرية المتعلقة بما يسمى سلاح الروح المعنوية.

٤- الوظيفة المعجمية التاريخية

ثمة تأريخ لعدد كبير من الابتكارات في الميدان العسكرى، في معاناة العرب المسلمين في جهادهم الطويل دفعا أو طلبا وهو ما واكبه استحداث ألفاظ دالة معبرة عن هذه المبتكرات مما يسهم في خدمة المعجمية التاريخية العربية في الحقل المتخصص.

ومن أمثلة ذلك أنه يمكن التأريخ لظهور مصطلح (الخندق) وهو لفظ دال على إحدى العمليات العسكرية المنضوية تحت حقل دلالى أصغر هو الهندسة العسكرية (سلاح المهندسين) – بغزوة الخندق التي جرت أحداثها سنة ٥ هـ بما هو أول تطبيق له في العسكرية العربية.

وبالمثل يمكن في سياق تحليل مصطلح (النفاطة = السهم النارى) ومصطلح (الحرّاقة= كرة النار) هي من مصطلحات المدفعية – معرفة تاريخ ظهور هذه المصطلحات تبعا لمعرفة تواريخ دخول مسميتها إلى الخدمة في العسكرية الإسلامية التي كان أول ظهور لها في مواجهة الحملات الصليبية المبكرة.

(٣) من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المعاصرة.

ومع الإقرار بالآثار السلبية لتغييب عدد كبيرا جدا من المصطلحات العسكرية العربية؛ لأسباب كثيرة عن الاستعمال العسكرى المعاصر، لعل أهمها روح التبعية التي خلفها الاحتلال الغربى في البلدان العربية المختلفة، فإن ثمة بعضا من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المختصة المعاصرة، نقف عند تجربتين تعكسان وعيا بقيمة هذا التراث الممتد لألفاظ العسكرية العربية الإسلامية، وهما:

١-**(معجم)** المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، لمحمود شيت خطاب، رحمه الله، وكان صدر سنة ١٦٨٦هـ=١٩٦٦م في مجلدين،الأول يبدأ بالهمزة، وينتهي بالطاء، والثانى يبدأ بالعين وينتهي بالياء، فيما يقرب من مئة وألف صفحة.

وقد جاء مرتبا على وفاق ترتيب حروف الهجاء في المشرق العربي (أ ب ت ث ج ح...) طلبا للتيسير على المستعمل المعاصر ثم توسع فصنع فهرسا موضوعيا أعاد فيه توزيع المصطلحات على المجالات الدلالية العسكرية المختلفة على ثمانية عشر مجالا، بدأها بالمصطلحات العسكرية العامة وانتهي بها عند مصطلحات الجغرافية العسكرية، وفيما بينهما أورد ترتيب المصطلحات على المجالات التالية : مصطلحات واجبات الأركان، ثم التعبئة، ثم التدريب، ثم الرتب والوحدات، ثم سلاح الجو، ثم البحرية، ثم المدرعات ثم المدفعية، ثم المهندسين، ثم مصطلحات سلاح الإشارة، ثم سلاح المشاة، ثم الإمداد والتموين، ثم الخدمات الطبية، ثم المهمات العسكرية، ثم الأشغال، ثم الانضباط.

و استهدف صانع هذا المعجم المهم هدفين أصيلين هما :

١-الإسهام فيما من شأنه توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية.

٢-إظهار عظمة القرآن الكريم من الناحية العسكرية الفنية.

٢-(معجم) السفن الإسلامية، لدرويش النخيلي، الذي صدر بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٤م.

وقد اعتنى فيه ببيان أنواع السفن الحربية، وهو ما يدخل في الميدان الذي نعرض لأشكال العناية به في اللسان العربي، وقد رتبها جميعا على حروف المعجم على وفاق الترتيب الهجائى الشائع طلبا للتيسير.

وقد كان صانع هذا المعجم حريصا على بيان السفن الحربية، بالنص تعيينا لمستوى استعمالها.

ومن أمثلة ذلك ما ورد تحت مدخل (فتّاش) من قوله إنها ضرب من السفن الحربية التي ظهرت بالأندلس في الربع الثانى من القرن الرابع الهجرى.

من مجموع هذين النموذجين اللذين عنيا بجمع المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية، عموما وخصوصا يتبين لنا بعضا من إسهام الحضارة العربية والإسلامية في تقدم العلوم العسكرية في العالم في فترة طويلة، وبإمكان معجم المصطلح العسكرى بعد الدرس والفحص أن يدل على حجم الإسهام، وقيمته.

***